

تفسير البحر المحيط

@ 26 @ فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه . وقال ابن عطية :
استعارة أي اقطعهما جانب الذل منك ودمت لهما نفسك وخلقت ، وبولغ بذكر الذل هنا ولم
يذكر في قوله : { وَآخُفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } وذلك
بسبب عظم الحق انتهى . وبسبب شرف المأمور فإنه لا يناسب نسبة الذل إليه .
وقال الزمخشري : فإن قلت : ما معنى { جَنَاحَ الذُّلِّ } ؟ قلت : فيه وجهان . أحدهما :
أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال : { وَآخُفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }
فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو
الذلول . والثاني : أن يجعل لذه أو لذه جناحاً خفيضاً كما جعل لبيد للشمال يداً ،
وللقرة زماناً مبالغاً في التذلل والتواضع لهما انتهى . والمعنى أنه جعل اللين ذلاً
واستعار له جناحاً ثم رشح هذا المجاز بأن أمر بخفضه . وحكي أن أبا تمام لما نظم قوله :
% (لا تسقني ماء الملام فإنني % .

صب قد استعذبت ماء بكائياً .
%) .

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطني شيئاً من ماء الملام ، فقال له : حتى تأتيني بريشة من
جناح الذل . وجناحاً الإنسان جانباه ، فالمعنى واخفض لهما جانبك ولا ترفعه فعل المتكبر
عليهما . وقال بعض المتأخرين فأحسن : % (أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى % .
فلم أستطع من أرضهم طيراناً .
%) .

وقرأ الجمهور { مَّنَ الذُّلِّ } بضم الذال . وقرأ ابن عباس وعروة بن جبير والجحدري
وابن وثاب بكسر الذال وذلك على الاستعارة في الناس لأن ذلك يستعمل في الدواب في ضد
الصعوبة ، كما أن الذل بالضم في ضد الغير من الناس ، ومن الظاهر أنها للسبب أي الحامل
لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما إذ صاراً مفتقرين لك حالة الكبر كما كنت مفتقراً
إليهما حالة الصغر . قال أبو البقاء : { مِنَ الرَّحْمَةِ } أي من أجل الرحمة ، أي من
أجل رفقك بهما فمن متعلقة ب (اخفض) ، ويجوز أن يكون حالاً من جناح . وقال ابن عطية :
من الرحمة هنا لبيان الجنس أي أن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن
يكون ذلك استعمالاً ، ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى . ثم أمره تعالى بأن يدعو
إلى أن يرحمهما رحمته الباقية إذ رحمته عليهما لا بقاء لها . ثم نبّهه على العلة

الموجبة للإحسان إليهما والبر بهما واسترحام الله لهما وهي تربيتهما له صغيراً ، وتلك الحالة مما تزيده اشفاقاً ورحمة لهما إذ هي تذكير لحالة إحسانهما إليه وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه . وقال قتادة : نسخ الله من هذه الآية هذا اللفظ يعني { وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا } بقوله تعالى : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } وقيل : هي مخصوصة في حق المشركين . وقيل لا نسخ ولا تخصيص لأن له أن يدعو الله لوالديه الكافرين بالهداية والإرشاد وأن يطلب الرحمة لهما بعد حصول الإيمان ، والظاهر أن الكاف في { كَمَا } للتعليل أي { رَبِّ ارْحَمْهُمَا } لتربيتهما لي وجزاء على إحسانهما إليّ حالة الصغر والافتقار . وقال الحوفي : الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره رحمة مثل